

تفسير البحر المحيط

@ 322 @ أعمالها إعمال ليس . نحو قول الشاعر : % (تعز فلا شيء على الأرض باقيا %
ولا وزر مما قضى الله واقيا) % الإشارة بذلك على جري الشمس . أي : ذلك الجري على ذلك
التقدير والحساب الدقيق ، تقدير (العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور ، المحيط علما
بكل معلوم . وقرأ الحرمان وأبو عمرو وأبو جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه (والقمر)
بالرفع على الابتداء . وباقي السبعة بالنصب على الاشتغال . . و (قدرناه) على حذف مضاف
. أي : قدرنا سيره . و (منازل) طرف أي منزلة . وقيل : قدرنا نوره فيزيد مقدار النور
كل يوم في المنازل الاجتماعية ، وينقص في المنازل الاستقبالية ، وقيل (قدرناه) جعلنا
أنه أجرى عكس منازل أنوار الشمس ، ولا يحتاج إلى حذف حرف الصفة فإن جرم القمر المظلم
ينزل فيه النور لقبول عكس ضياء الشمس مثل المرآة المجلوة إذا قوبل بها الشعاع ، وهذه
المنازل معروفة عند العرب ، وهي ثمانية وعشرون منزلة القمر كل ليلة في واحدة منها لا
يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا بتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة
والعشرين ، ثم يسير ليلتين إذا نقص الشهر ، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت
إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي : الشرطين ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ،
الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، ، الدبرة ، الصرفة ، العواء ، السماك ،
العفر ، الزباني ، الإكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ،
سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرع الدلو المقدم ، فرع الدلو المؤخر ، بطن الحوت ، ويقال
له : الرشاء ، فإذا كان في آخر منازل دق واستقوس واصفر فشبه بالعرجون القديم من ثلاثة
الأوجه ، وقرأ سليمان التيمي (كالعرجون) بكسر العين وفتح الجيم . والجمهور بضمهما .
وهما لغتان كالبريون . و (القديم) ما مر عليه زمان طويل . وقيل : أقل عدة الموصوف
بالقدم حول ، فلو قال رجل : كل مملوك لي قديم فهو حر ، أو كتب ذلك في وصية ، عتق منهم
من مضى له حول وأكثر ' . انتهى . والقدم : أمر نسبي وقد يطلق على ما ليس له سنة ، ولا
سنتان ، فلا يقال : العالم قديم وإنما تعتبر العادة في ذلك . (لا الشمس ينبغي لها أن
تدرك القمر) (ينبغي لها) مستعملة فيما لا يمكن خلافه . أي : لم يجعل لها قدرة على ذلك
، وهذا الإدراك المنبغي هو : قال الزمخشري : ' إن الله تعالى جعل لكل واحد من الليل
والنهار وآيتيهما قسما من الزمان ، وضرب له حدا معلوما ، ودبر أمرهما على التعاقب ،
فلا ينبغي للشمس أن يستهل لها ، ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على العاقبة . وإن جعل
لكل واحد من النيرين سلطان على حياله أن يدرك القمر ، فتجتمع معه في وقت واحد ، وتدخله

في سلطانه ، فتطمس نوره ، ولا يسبق الليل النهار : يعني : آية الليل آية النهار ، وهما النيران ، ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل ما دبر من ذلك ، وينقص ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ، فتطلع الشمس من مغربها ' . انتهى . وقال ابن عباس والضحاك : ' إذا طلعت لم يكن للقمر ضوء وإذا طلع لم يكن للشمس ضوء ' . وقال مجاهد : ' لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ' . وقال قتادة : ' لكل أحد حد لا يعدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا ' . وقال ابن عباس أيضا : ' إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها ' ، وقال الحسن : ' لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة . أي : لا تبقى الشمس حتى يطلع الفجر ولكن إذا غربت طلع ' . وقال يحيى بن سلام : ' لا تدركه ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها ' . وقيل : ' لا يمكنها أن تدركه في سرعته ، لأن دائرة فلك القمر داخله في فلك عطارد داخل في فلك الزهرة ، وفلك الزهرة داخل في فلك الشمس ، فإذا كان طريق الشمس أبعد قطع القمر جميع أجزاء فلكه ، أي : من البروج الاثني عشر في زمان تقطع الشمس فيه برجاً واحداً من فلكه .